جامعة محمد لمين دباغين سطيف2

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

القسم: جذع مشترك علوم إنسانية

المقياس: مدخل إلى الفلسفة العامة

محاضرات السداسي الأول

المحاضرة رقم: 01 تعريف الفلسفة

1- **من حيث الاشتقاق اللغوي:** الفلسفة كلمة يونانية مركبة من فيلوس Philos وتعني المحبة، وصوفياSophia وتعني الحكمة، أي محبة الحكمة، ليكون الفيلسوف هو محب الحكمة. ويُعتقد أن أول من استخدم مصطلح الفلسفة هو الفيلسوف اليوناني فيثاغورس (497-572ق م) وذلك عندما رفض أن يوصف بالحكيم ، قائلا أنه: "من الغرور أن يدعي الإنسان لنفسه الحكمة ، واسم الحكيم لا يليق بإنسان قط بل يليق بالآلهة وكفى الإنسان شرفا أن يكون محبا للحكمة وساعيا وراءها".

2- **التعريف الاصطلاحي للفلسفة:** من الصعب الإحاطة بالفلسفة بتعريف جامع مانع، ومردّ ذلك بالأساس ما تحمله من خصائص، وهذا خلاف العلوم الأخرى التي يمكن التعريف بها والإحاطة بماهيتها، وعليه فإن محاولة تعريف الفلسفة يحيلنا إلى استقراء وتتبّع مسار تطوّرها عبر العصور.

أولا ـ الفلسفة عند اليونان: ومن نماذج تعريفاتها:

تعريف أفلاطون: الفلسفة هي "علم الحقائق المطلقة الكامنة وراء ظواهر الأشياء"، فحقيقة الظواهر الكونية ليست فيما تستقبله حواسنا ويقع تحت مجالها، فكل ذلك ليس إلا ظلا للحقيقة، بينما الصورة الحقيقية مثالية لا تدركها الحواس، إنها تكمن وراء ذلك العالم المحسوس المخادع، والذي لا يمكن إدراكه إلا بالعقل الذي يسير بنا نحو اكتشاف العلل والمبادئ الخفية الأولى التي منها أشعّ ذلك العالم بكل ظواهره.

تعريف أرسطو: الفلسفة هي "علم المبادئ والعلل الأولى للوجود" ، أوهي "علم الوجود بما هو موجود". فالفلسفة عنده هي السعي إلى الكشف عن الأسباب والعلل التي بها وجدت وتشكلت الظواهر ، وهذه العلل عنده هي: العلة المادية والعلة الصورية والعلة الفاعلة والعلة الغائية.

ثانيا ـ العصور الوسطى:

أ- في الفكر المسيحي: كان يُنظر إلى الفلسفة على أنها تقف على طرفي نقيض مع الدين خاصة في أوروبا. لذلك مُنع الاشتغال بها هناك، إلا إذا كانت تدور في فلك الدين وفي إطار تعاليم الكتاب المقدس. وأن تنحصر مهمتها في التمكين للمسيحية ، وبذلك أصبحت الفلسفة تابعة للعقيدة .

ب- في الفكر الإسلامي:

تعريف ابن سينا: الفلسفة هي "استكمال النفس الإنسانية بتصور الأمور والتصديق بالحقائق النظرية والعملية على قدر الطاقة الإنسانية". أي أن الإنسان نشأ جاهلا في معرفته وناقصا في خلقته ولا يستطيع أن يخرج من جهله ،الا باستعمال التامل العقلي في قضايا الكون و الإنسان ، سواء تعلق الأمر بالناحية النظرية أم بالجوانب العملية، وهنا فقط يرتفع إلى مرتبة الإنسانية.

تعريف ابن رشد: الفلسفة عند ابن رشد هي "النظر في الموجودات واعتبارها من جهة دلالتها على الصانع"، أي أن الفلسفة تسمح بالتعرف على الخالق بالنظر إلى مخلوقاته ، ويعتقد انه كلما كانت المعرفة بصنعتها أتم، كانت المعرفة بالصانع أتم.

ثالثا ـ العصر الحديث: شهدت أوربا الحديثة نهضة فكرية واسعة النطاق، بعد أن عانت ويلات الإقطاعية واستبداد الكنيسة، حيث ظهرت فلسفة نهضوية عملت على تصحيح ومعالجة الأوضاع السائدة، حتى أنها وصفت بفلسفة التنوير، من خلال مساعيها في تحرير عقل الإنسان وتنمية وعيه، وتغيير أوضاعه السياسية والاجتماعية المتردية.

ـ **تعريف ديكارت:** "الفلسفة بأسرها أشبه بشجرة جذورها الميتافيزيقا، وجذعها الفيزيقا، والفروع التي تخرج من هذا الجذع هي العلوم الأخرى التي تنتهي إلى ثلاثة علوم رئيسة هي: الطب والأخلاق والميكانيكا"

ـ **تعريف فيخته:** "هي فن المعرفة" ـ **تعريف هيجل:** "هي الفحص الفكري للموضوعات".....

رابعا ـ الفلسفة المعاصرة: لقد أفرزت الثورة العلمي انشغالات فكرية جديدة وعميقة، اهتمت بالوجود الإنساني واهتماماته الجديد .

تعريف ماكس شيلر "نشاط بواسطته يتأكّد أو يتضّح معنى العبارات.. الفلسفة تشرح العبارات والعلم يتحقق منها"

تعريف جون ديوي "هي العمل المحرّك والمحفّز للناس على العمل الناجح المحقّق للنّفع"

استنتاج/ صعوبة تعريف الفلسفة: يمكن القول أن تعريف الفلسفة يعتبر في حدّ ذاته مشكلة فلسفية، ويمكن حوصلة أسباب هذه الصعوبة في النقاط التالية:

1- الطابع الشخصي للانتاج الفلسفي: النظريات والأنساق الفلسفية هي تعبية عن وجهات نظر أصحابها، يقول نيتشه (1844/ 1900) "اكتشفت شيئا فشيئا أن كلّ فلسفة عظيمة كانت دائما إلى يومنا هذا عبارة عن اعترافات صاحبها ومذكراته، سواء قصد ذلك أم لم يقصد".

2- كثرة التعريفات: يكاد يكون لكل فيلسوف أو مذهب فلسفي تعريفه الخاص وحتى المتباين عن غيره للفلسفة، فللفلسفة دلالات متعدّدة يصعب حصرها في مجال محدّد.

3- شساعة موضوع ومباحث الفلسفة: فهي تهتم بمختلف القضايا التي تشغل الفكر البشري.

4- تعبر عن مشكلات العصر: فهي تتأثر بظروف العصر، وما يحيط به من مشكلات وانشغالات مطروحة، ولما كان لكل عصر مشكلاته فحتما أن يكون لكل عصر مدلول خاص للفلسفة، ينطبع بصبغة ثقافة العصر السائدة..

المحاضرة رقم02 خصائص الفلسفة

تمهيد: الحديث عن الفلسفة من حيث هي إبداع فكري بشري، يحيلنا بالضرورة إلى الحديث والاعتراف بأنها كذلك نمط فكر له خصوصياته التي تجعله ضرب فكري ومعرفي متميز؛ هذه الفلسفة التي جاءت معبرة عن ذلك التحوّل في مسار الفكر الإنساني والانتقال به نحو أفق الاستدلال العقلي، تتميز إذن بعديد الخصائص نذكر منها:

1 - الشمولية: إذا كانت العلوم ومنذ استقلالها عن الفلسفة قد أخذت في الاتجاه نحو التخصص في مباحثها، وراحت تدرس قضاياها وظواهرها دراسة تجزيئية، حيث كل علم يبحث في المشكلات التي تعنيه وكأنها منفصلة عن غيرها، فنجد علم الفلك يهتم بدراسة الأجرام السماوية وما يتعلق بها من مسارات وتشكلات، وعلم الفيزياء يهتم بدراسة المادة وما يتعلّق بها من كتلة وثقل..، وعلم الجيولوجيا ينشغل بدراسة التشكلات التضاريسية المختلفة، وعلم الطب يستهدف دراسة الأجسام وما له من علاقة بالأمراض..، فإن الفلسفة ومنذ بروزها عند اليونان كانت تتجنب التخصص واستمرت تنشد الشمولية في كل ما تدرس. يقول **أرسطو** "لا علم إلا بالكليات"

إنها لا تنشغل ببحث وتفسير المشكلات الجزئية كما هو حال العلوم الأخرى، ويمكن الوقوف على هذه الخاصية بالنظر لمباحثها الأساسية، فعندما يبحث الفيلسوف في الوجود مثلا فإنه لا يركز على المكونات الأساسية للكواكب والنجوم، والقوانين التي تحكم سيرها في الفضاء ، وإنما يريد الإجابة على أسئلة اشمل نحو ما هو مصدر الكون ؟ و ما هي طبيعته ؟ و ما هو مصيره ؟ وهذه الشمولية إنما تهدف إلى تكوين نظرة شاملة عن الكون، والإحاطة بحقيقته العامة..

2 - الاتساق: يحرص الفيلسوف على تجنب التناقض في أفكاره، حتى وإن تعددت آراؤه حول القضايا والمسائل التي ينشغل ببحثها، فالنظريات الفلسفية تختلف في منطلقاتها ونتائجها، ورغم ذلك لا تفقد منطقية صدقها أمام العقل، لأنها تتميّز بكونها منظومة فكرية خاضعة للانسجام المنطقي بين المنطلقات المسلم بها والنتائج المتوصّل إليها ويعتقد بها الفيلسوف.

ومن الثابت ان قيمة النسق الفلسفي تزداد وزنا ومصداقية كلّما جانبت التناقضات، وشكلت بناء فكريا متناسقا، وهذا ما نلمسه بوضوح في مختلف الفلسفات والمذاهب الفكرية الفلسفية، فحتى وإن كانت الآراء متضادة ومتجادلة، إلا أنها تتأسس على منظومة فكرية متناسقة، تنعكس في مختلف مواقفها ونظرياتها. فالفلسفة العقلية مثلا: تدافع عن عقلية المعرفة وأصل الرياضيات، وأساس القيمة الخلقية.. محترمة في ذلك مسلماتها القائلة بفطرية مثل هذه الحقائق، وتوافقها مع قرارات العقل وبديهياته، ومن غير المنطقي القول بقيمة التجربة في ذلك، وكذلك الشأن بالنسبة للفلسفة التجريبية التي تحترم مسلماتها في بناء نظرياتها، فتبرر كل أنواع الحقائق بأنها مكتسبة طالما أن الانطباعات الحسية هي التي تفرض وجودها على العقل الذي في منشئه جاء صفحة بيضاء.... لكن ورغم هذا الجدال في التأسيس المعرفي إلا أنها تبقى نظريات مقبولة عقليا بالنظر إلى انسجام واتساق مبناها بين المنطلقات والحقائق المستخلصة..

3 - التعمق: التفكير الفلسفي يتجاوز المحسوس إلى التجريد باعتماد التدبر العقلي، المتفحّص الهادف إلى الكشف عن جوهر الحقيقة، إنّه تأمل عميق يتجاوز الوصف السطحي، وهو في ذلك مقتنع بان الظواهر السطحية تخفي وراءها حقائق لا تدرك إلا بذلك التدبّر العقلي المؤسس على النقد والشكّ... وهذا الفيلسوف سقراط يقول عن الخطاب الفلسفي « يبحث

عن الإزعاج ويوقظ من النعاس العميق». لذلك كانت للتساؤل الفلسفي قيمة هامة، فبفضله يتوغّل الفيلسوف في جوهر القضايا والانشغالات المطروحة، يقول "كارل ياسبرز" « الأسئلة في الفلسفة أهم من الأجوبة، وينبغي أن يتحوّل كل جواب إلى سؤال جديد» ويقول "برتراند راسل" موجها النظر حول أهمية الفلسفة «قادرة [الفلسفة] على اقتراح إمكانات عديدة توسّع آفاق فكرنا، وتحرّر أفكارنا من سلطان العادة الطاغي، وتزيل التزمّت».. ولعل تضمن البحث الفلسفي لصفة الشك، إنما هدفه توسيع النظر والاستطلاع المعرفي، وعدم الاكتفاء بما جاهز واضح..

4 ـ الدهشة: فالدهشة تعبر عن الشعور بالجهل بحقيقة الظواهر، والمسائل التي تواجه الإنسان، وحينها يندفع وينطلق نحو البحث عن الحقيقة.. والدهشة في الفلسفة هي كما يقول عنها "شوبنهاور" دهشة أمام الأمور الاعتيادية التي تكتسي حلّة البداهة، وهي دهشة أمام الأشياء ذات الصبغة الأكثر عمومية، وجعلها موضوع التساؤل وتحويلها إلى قضايا استشكالية..

5 ـ الانشغال بقضايا الإنسان: مهما تعددت النظريات الفلسفية، ومهما اختلفت خصوصيات العصر الذي تواجدت فيه، إلا أن الفلسفة ومنذ ظهورها الأوّل هي انشغال وتفكير في الإنسان واهتماماته وكينونته، فقد بحثت في حريته وسعادته ووجوده ومصيره وعلاقته بالغير وبالخالق.. وغيرها من المسائل المثيرة والمحيرة للعقل... يقول "هيجل" «الدفاع عن الفلسفة هو دفاع عن الإنسان»

المحاضرة رقم03: منهج الفلسفة

مفهوم المنهج: المنهج هو الخطة المتبعة للوصول إلى نتيجة معينة، أو هو الترتيب الذي يتقيد به سير العمل للوصول إلى نتيجة.

وإذا كانت العلوم التجريبية تتخذ من المنهج التجريبي الاستقرائي المتكوّن من الملاحظة والفرضية والتجربة، طريقا لها في البحث عن الحقيقة، وهو من حيث طبيعته منهج ينسجم مع طبيعة موضوع دراسته (الظواهر والعناصر المادية)؛ فإن الفلسفة غير ذلك؛ لها منهجها الخاص الذي ينسجم مع طبيعة وخصوصيات موضوعاتها، التي تتجاوز الوجود المادي، منشغلة أكثر بالبحث في مسائل وإشكاليات يصعب بحثها والتحقق منها تجريبيا.

ويمكن القول أن منهج البحث الفلسفي في إطاره العام يعني: التأمّل العقلي المؤسس على النقد والشك الهادفين إلى بناء وبلوغ الحقيقة.

وإذا نحن استقرأنا طرق وآليات البحث الفلسفي تاريخيا، فإننا نلمس تعدد المناهج في داخل هذا الإطار العام للمنهج الفلسفي نفسه؛ وهو تعدّد اقتضته وفرضته طبيعة وخصوصيات المسائل المطروحة للبحث والنقاش، ومن أبرز هذه المناهج نذكر:

أولا: المنهج الجدلي: ويمكن اعتباره أقدم وأوّل منهج بحث فلسفي، ومعناه الانطلاق من حقائق افتراضية، ثم مناقشتها في إطار حوار جدلي، فإذا أوصلنا هذا النقاش إلى استخلاص فكرة أفضل مما تم التسليم به من افتراضات، يكون الأخذ بهذه الاستخلاصات ورفض الفرضيات السابقة المنطلق منها، أما إذا كان التبرير الجدلي ضعيفا وغير مقنع فيكون الإبقاء على الفرضيات المسلّم بها، وقد كان سقراط مؤسسا لهذا المنهج الذي عرف عنده بالمنهج التوليدي (توليد الأفكار..).

ثانيا: المنهج التمثيلي: التمثيل في تعريفه يعني: الحكم على شيء معين لوجود ذلك الحكم في شيء أخر، أو إثبات حكم في أمر لثبوته في أمر آخر لوجود علة مشتركة بينهما. إنّه ذلك الاستدلال الذي يقوم على اعتماد الأحكام المستخلصة من دراسة الأشياء المتشابهة، للكشف وإثبات الأحكام التي كانت المجهولة، وقد وظفه أرسطو عندما أقام تماثلا بين الرئة والخياشم، فالحيوانات التي تعيش في الماء تستعمل الخياشم كما تستعمل الحيوانات التي تتنفس الهواء بالرئة. إن ظواهر الكون (حية أو جامدة) هي باعتقاده كلّها متماثلة في خضوعها لمبدأ الغائية، وحتى إن اختلف نوع هذه الغاية إلا أنها موجودة بالمماثلة في كل الكائنات الكونية...

ثالثا: المنهج الشكي: ومفاده أنّه لأجل الوصول إلى اليقين يبدأ الباحث الفيلسوف بوضع معارفه السابقة موضع الشك، ويجتهد في تجاوز أحاكمه المسبقة. ساعيا إلى بلوغ الحقيقة اليقينية.

وقد برز هذا المنهج الشكي عند الفيلسوف اليوناني "سقراط"، وهذا ما نستخلصه من قوله " إنّني لا أعرف إلا شيئا واحدا هو أنّني لا أعرف شيئا".. كما كان لأبي حامد الغزالي منهجه الشكي، معتبرا الشك طريقا لبلوغ اليقين المعرفي، فقد

شكّ في الحقائق التقليدي باعتبارها مجرّد تلقينيات، وكذلك شكّ في المعارف الحسية.. ووضع العقل كذلك موضع الشك في مدى قدرته على بلوغ الحقيقة اليقينية... يقول "من لم يشك لم ينظر، ومن لم ينظر لم يبصر، ومن لم يبصر بقي في العمى والحيرة.."

وأما المعالم الكبرى للمنهج الشكّي فقد اكتملت مع الفيلسوف الفرنسي "ديكارت" الذي أسس لمنهج فلسفي شكي يتألف من قواعد أربعة هي:

1 ـ لا أقبل شيئا على أنه صادق ما لم تكن لدي معرفة واضحة بأنه كذلك..بحيث لا يدع مجالا للشك فيها. (قاعدة البداهة)

2 ـ أقسم كل مشكلة تناولتها إلى اكبر عدد ممكن من الأجزاء، بحيث تبدو مناسبة لتقديم أفضل حل لها. (قاعدة التحليل)

3 ـ أوجه أفكاري توجيها منظما مبتدئا بأبسط الأشياء والقضايا وهي ما كانت معرفتنا لها أكثر وضوحا وأصعد تدريجا إلى معرفة ما هو أكثر تعقيدا. (قاعدة التركيب)

4 ـ أقوم بإحصاءات تامة ومراجعات عامة للتأكد من أني لم احذف شيئا. (قاعدة الإحصاء والمراجعة)

رابعا: المنهج التحليلي: اشتهرت به الفلسفة الانجليزية المعاصرة، مع "جورج مور"، و" برتراند راسل" و"الفريد هوايتهد"، وهو منهج هدفه الرجوع إلى العناصر الأولية البسيطة والوحدات الجزئية التي يقوم عليها الفكر والوجود، ثم العمل على توضيح حقيقة تلك العناصر والجزئيات والعلاقات التي تربط بعضها ببعض. وهو في عمومه في عمومه ينقسم إلى قسمين:

- منهج التحليل اللغوي: ويقوم أساسا على تحليل العبارة اللغوية.. لأن معنى الكلمات اللغوية يتحدّد حسب طبيعة الاستخدام ومستوى التوظيف..

- منهج التحليل الفلسفي: ويهتم بتحليل الجانب الفكري، وما يظهر في تصوّرات ومعتقدات الرجل العادي، وكذلك تحليل الفروض الأساسية في مختلف العلوم لإعطائها معناها الصحيح..

خامسا:المنهج التأويلي: ظهر التأويل في بدايته كمنهج لتأويل النصوص الدينية، ثم انتقل إلى الفلسفة، وهو يعني في إطاره العام فهم المعنى المقصود من الأمر أو النص الغامض المبهم، (في الفكر الإسلامي: تأويل الآيات القرآنية أو بعض مصطلحاتها..)

ملاحظة: هناك مناهج بحث فلسفية أخرى ترتبط بالتوجهات والمدارس الفلسفية (المنهج البنيوي في الفلسفة البنيوية، المنهج الحدسي في الفلسفة الحدسانية، المنهج الظاهراتي في الفلسفة الظواهرية....)

ورغم تعدد مناهج البحث الفلسفي، إلا أنها في بنائها العام تشترك في محطات رئيسة ثلاث هي:

1- الصورنة وطرح المشكلة: توضيح المفاهيم وضبطها، يقول "لودفيج فتجنشتاين"**«الغاية من الفلسفة هي التوضيح المنطقي للتفكير»**، ثم إن الفلاسفة يتميّزون بالحس الإشكالي فينتبهون إلى قضايا يغفل عنها غيرهم، وعليه فالنشاط الفلسفي وبعد ضبطه للتصوّر، يرتقي غلى صياغة المشكلة، المتمثلة في ذلك التساؤل الذي يثير العقل ويحفّزه على البحث والتفكير.. وتحويل كل ما يبدو بديهيا مألوفا إلى قضايا استشكالية..

2- تحديد الموقف: بعد صياغة المشكلة على الفيلسوف أن يبرز موقفه منها بوضوح مبديا اقتناعه به، مجهزا نفسه إلى الدفاع عنه، على أن يقتنع كذلك بأنه موقف قابل للنقاش الجدلي. فالفلسفة في جوهرها ذات طبيعة خلافية جدالية. وعلى الفيلسوف في إطار بناء وتأسيس موقفه، مراعاة ظروف العصر السائدة، والسعي نحو بناء الأدلة التي تمنح لموقفه المشروعية اللازمة.

3- إقامة الحجة: فالمواقف الفلسفية تستمد قوة مشروعيتها من قوة الحجاج والاستدلال، ولهذا الحجاج الاستدلالي أنواع: منها العقلية، ومنها النقلية، ومنها التجريبية، ومنها التاريخية، ومنها المقارنة...

المحاضرة رقم04: قيمة الفلسفة

الفلسفة من حيث هي بحث عن الحقيقة؛ سواء تعلّق الأمر بالوجود ككل أو الانشغال بالوجود الإنساني، ورغم تجذّرها في الحقب التاريخية وحضورها المستمر، إلا أن قيمتها لم تكن المواقف حولها على مار واحد. فقد لازم تطوّرها عبر مختلف العصور بروز ترعتين فكريتية تتجادلان قيمة ومكانة الفلسفة: موقف يشك في قيمتها، وآخر يدافع عنها..

هل للفلسفة من القيمة والأهمية ما يجعلها منتجا فكريا ضروريا؟ أم إنها مجرّد مسار فكري عقيم وترف فكري لا جدوى منه؟ هل الإنسان بحاجة إلى البحث والانشغال الفلسفي للإحاطة باهتماماته وتساؤلاته؟ أم إن البحث الفلسفي لم يزده إلا معاناة ويأسا من بلوغ الحقيقة؟ ...

أولا: موقف الشك في قيمة الفلسفة: ليست الفلسفة عند هذا الطرح إلا ترفا فكريا، وبحث غير مجد، فهي عاجزة عن بلوغ الأهداف التي جاءت من أجلها (بلوغ الحقيقة..)، فالفلسفة إجمال باعتقاد هذا الموقف لم تزد الإنسان إلا عناء وإبحارا في المجهول، وهي من المعارف التي يمكن الاستغناء عنها، وتعويضها بحقول معرفية أخرى يمكن لها تحقيق فوائد ومنافع ملموسة على مستوى الحياة الفردية والاجتماعية.. إنها لن تمنح الجائع غذاء يتقوّت به، ولن تمنح المتشرد سكنا يؤويه، ولن تمنح المريض صحة أو دواء يشفيه...

1- **عند اليونان:** ظهرت نزعة فكرية معادية للفلسفة، وتتهمها بكونها مجرد نشاط مشوّش للعقول. وليست إلا ترفا فكريا لا فائدة من ورائه. ومن أوائل من انتقدوا الانشغال الفلسفي: **"بيرون"** الذي كان من أكبر المشكّكين في أهمية الفلسفة، فراح يتهمها بالعجز عن بلوغ الحقيقة والأهداف التي جاءت من أجلها، فهي ليست إلا بحثا وهميا، بعيد عن الواقع، وأن ما بلغته نظرياتها المختلفة من معارف وحقائق، معرض للخطأ، ولا يمكن الوثوق به، بل إن الأخطر من ذلك أنها تسببت في القضاء على روح الطمأنينة التي كانت بين الناس، بسبب ما زرعته من أفكار منافية للحقائق السائدة التي كانت تنتظم في تلك العادات والتقاليد والمعتقدات الراسخة في المجتمع، وكذلك بسبب منهجها الشكي الذي أفقد الحقيقة معناها ووجودها. ثم إن وسائلها المعرفية (العقل والحواس) عاجزة عن بلوغ الحقيقة التي جاءت من أجلها، فالحواس تخدعنا، والعقل وسيلة ذاتية خاضعة للشهوات والأهواء الذاتية.

2- **في الفكر المسيحي الوسيطي:** اصطدمت الفلسفة بردّة فعل معادية قوية، تبنتها سلطة الكنيسة، التي كانت ترى فيها صورة من صور الكفر الإلحاد، ومعادية للعقيدة المسيحية التي تمثلها سلطة الكنيسة.. يقول القديس تروتوليان (160-220م) "أجهل المسيحيين الأميين يجيب عن أيّ سؤال في الدّين، في حين أن أفلاطون يصرّح أنّه ليس من السهل اكتشاف صانع الكون" ومدلول القولة أن الفيلسوف عاجز عن بلوغ أهداف فلسفته، بينما العقيدة المسيحية بسيطة ويسيرة فيها إجابات لكل ما يشغل فكر المتديّن.

3- في الفكر الإسلامي: تعرضت الفلسفة، خصوصا وأنها ذات صبغة وتأثيرات يونانية، إلى موجة انتقادات واسعة، واشتد الأمر بالبعض من رجال الدّين حدّ تكفير المنشغلين بها، فهي برأيهم معادية للدين لا خادمة له، وتتصادم مع الثقافة الإسلامية. فهذا حجة الإسلام **ابن تيمية** يعتبر الفلاسفة خصوصا المنشغلين بمسائل الإلهيات في مرتبة دون كفار اليهود والنصارى، وهم أعظم جهلا وضلالا من المجوس ومشركي العرب والهند.. وأما الإمام ابن الصلاح فيقول عنها " الفلسفة أسّ السفه والانحلال، ومادة الحيرة والضلال، ومثار الزيغ والزندقة، ومن تفلسف عميت بصيرته عن محاسن الشريعة المطهّرة". وأما أبو حامد الغزالي فقد انقلب على الفلسفة ليؤلف كتابا يؤكد فيه انه لا طائل من أراء الفلاسفة بعنوان (تهافت الفلاسفة) وهو كتاب يواجه فيه الفلاسفة وليس الفلسفة تحديد، وقد أبرز أن الفلاسفة أخطؤوا في حوالي20 مسألة، واعتبر ثلاثا منها مطية للكفر يجب التوبة منها (القول بقدم العالم، القول بعلم الله للكليات دون الجزئيات، مسألة الحشر والبعث).

4- **في العصر الحديث:** كان لتقدّم العلوم وظهور المنهج العلمي التجريبي، بالغ الأثر على الفلاسفة الوضعيين، الذين اعتبروا العديد من مسائل بحثها، مجرّد ترف فكري لم يعد له من القيمة ما يستدعي الحفاظ عليه. فهذا **"فرانسيس بيكون" يقول عنها** "إن فلسفة أفلاطون هي حديث عجائز عاطلين إلى شباب جاهلين،، فهؤلاء الفلاسفة يشتركون مع الأطفال في الميل إلى الكلام والعجز عن الانجاب.." أما **جوبلو** فيقول عنها "لقد عملت الفلسفة على تكوين سائر العلوم، فغذّتها في حجرها حتى تكاملت وتحرّرت، فليس هي الآن إلا الأثر الباقي من المعارف" . وأما **أوجست كونت** فيعتقد أنّ الفكر البشري قد مرّ بثلاث مراحل في مسار تطوّره: **المرحلة اللاهوتية:** وفيها ساد التفسير الخرافي، أين كانت الظواهر تفسر باعتقاد وجود قوى خفية (الآلهة..).. **المرحلة الميتافيزيقية:** وفيها ساد التفسير الفلسفي، وحينها أصبحت الظواهر تفسر بإرجاعها إلى قوى محايثة للطبيعة (الأجسام تسقط لأن فيها خاصية السقوط..).. وأخيرا **المرحلة الوضعية:** وفيها أصبح

التفكير علميا الظواهر تفسر بإرجاعها إلى أسباب طبيعية (الزلازل بسبب ضعف القشرة الأرضية..)، وفي هذه المرحلة زاد الاهتمام بالبحث العلمي وتراجعت مكانة الفلسفة.

ثانيا: موقف الدفاع عن قيمة وضرورة الفلسفة

1- **عند اليونان:** كان للفلسفة دورها في تغيير مسار الحياة الاجتماعية عند اليونان، وتجاوز مرحلة سيادة التفكير الميثوسي (الأسطورة)، فهذا "سقراط" قد ساهم بفلسفته في تنوير عقول الشباب، وجعل من الفلسفة أداة لتغيير الواقع الاجتماعي، والتخلّص من حالة الركود الفكري.. وأما تلميذه "أفلاطون" فقد جعل للفلسفة لمكانة السامية، ومنح للفلاسفة أعلى مرتبة وقيمة اجتماعية.. باعتبارهم الطاقة القادرة على فهم حاجيات الناس، والقادرة على تسييرهم ونشر الفضائل.. وأما "أرسطو" فقد جعل الفلسفة وسيلة لفهم الوجود، وتوسيع المعارف به، وكان من إبداعات فلسفته تأسيس المنطق الصوري الذي نظر إليه كمحرك ومنظم للفكر البشري، وضروري لبلوغ التفكير السليم....

2- **في الفكر المسيحي الوسيطي:**

ظهر تيار ديني معتدل عمل على التقريب بين الدين والفلسفة، وجعل من الفلسفة أداة للتديّن والإيمان العميق..

فهذا القديس **"أوغسطين"** ينظر إلى الفلسفة بكونها حكمة عقلية، تساعد في فهم عقيدة المسيح، واعتبر معاداة سلطة الكنيسة للنظر الفلسفي تطرّفا دينيا يتنافى مع تعاليم المسيحية. وكان يقول بذلك التكامل بين الفلسفة كحكمة عقلية والدين كتعاليم إلهية ثابتة.. وأما القديس **"توما الاكويني"**، فقد وجد في مبادئ العقل التي تضمّنتها فلسفة أرسطو تحديدا، توافقا مع مبادئ الدّين، بل إن الله هو الذي أودعها في العقول، وعليه تكون الفلسفة موافقة لتعاليم عقيدة المسيح وخادمة وموضحة لها.

3- في الفكر الإسلامي: دافع العديد من فلاسفة الإسلام عن أهمية الفلسفة وضرورتها إلى جانب الشريعة الإسلامية، ومنهم الكندي، الفارابي، ابن سينا، ابن طفيل.. و**ابن رشد** الذي راح خصوصا في كتابيه "تهافت التهافت" و"فصل المقال.."يعتبرها ضرورة للتأمل في آيات الله الكونية وإدراك قدرة الخالق. يقول عنها "الفلسفة صاحبة الشريعة وأختها الرضيعة..". فالحكمة الفلسفية باعتقاده تتوافق مع مقاصد الشريعة الداعية إلى التدبر العقلي.

4- **في العصر الحديث:** كانت الفلسفة بمثابة أداة للتحرير والتنوير والتغيير، وساهمت في يقظة الوعي، وتجاوز سلطة الكنيسة، يقول عنها **ديكارت** "الفلسفة وحدها هي التي تميّزنا عن الأقوام المتوحشين والهمجيين، وأن حضارة كلّ أمة إنّما تقاس بقدرة أناسها على تفلسف أحسن، وهكذا فإن الخير، كلّ الخير بالنسبة لأمّة ما أن يكون فيها فلاسفة حقيقيون.

ويذهب "دوزانتي" ناقدا رأي الوضعيين في اتهامهم للفلسفة بعدم التقدّم، يقول "إن مثل هذه الآراء لا تتجاوز المظاهر السطحية للأمور... وأن الفلسفة تقدّمت في ذات الوقت الذي تقدّمت فيه النواة الموضوعية للمعرفة البشرية.. إن نمو الفلسفة يتجلى في هذا المفهوم المتفتّح عن العالم، مما يمكن العالم الموضوعي أن يجد من خلاله انعكاسه الحقيقي.." فقيمة الفلسفة تتجلى في ملازمتها للتطور العلمي وقيامها بمهمة الدراسة النقدية لتلك المعارف التي أنتجتها العلوم، بهدف توجيهها وتجديدها..

وأما **برتراند راسل** فيقول موضحا تجلي قيمة وأهمية الفلسفة خصوصا بعد التطورات العلمية المادية "إن أهمية الفلسفة متأتية من كونها تشد أنفسنا، أو إن شئت يقظتنا الفكرية، لأن هناك قضايا خطيرة في الحياة لا يستطيع العلم أن يعالجها، أو أن يقول فيها كلمته، ولأن الرأي العلمي.. ليس هو الرأي المناسب لتلك القضايا.." فالعلوم ورغم ما بلغته من تطوّر، وما حققته من منافع تبقى عاجزة عن الإحاطة بكل انشغالات الإنسان، خصوصا ما يتعلّق بمسائل الحرية، والأخلاق، والمصير...

خلاصـــة: مهما كان للفلسفة من مواطن العجز، إلا أن هذا ليس مبررا للثورة عليها ومعاداتها، فهي في كل الأحوال منتج فكري بشري، ويعبر عن اجتهادات ورؤى فكرية طموحة.. مثلها مثل غيرها من الإبداعات الفكرية التي أسهمت في تقديم الإضافة للبشرية..

إن الفلسفة نمط فكري أثبت فعاليته عبر مسارات التاريخ المختلفة، وأيقظ الفكر البشري بدعوته إلى التأمل والتغيير نحو الأفضل، ورغم الحملات المعادية التي اصطدمت بها الفلسفة إلا أن ذلك لم يقض على كينونتها واستمرارها عبر

العصور، وهو م يؤكد قيمتها وصعوبة الاستغناء عنها، بالنظر إلى ما تخلقه من آفاق تغري الفكر وتحفّزه على التساؤل والبحث الطموح..

وإجمالا يمكن الحديث عن قيمة الفلسفة على المستويين الفردي والاجتماعي..

على المستوى الفردي: - الفلسفة في جوهرها نابعة من حاجيات الإنسان الفطرية في المعرفة، وبذلك فهي تعبر عن الرغبة الطبيعية للإنسان في المعرفة، وهي الرغبة التي نلمسها في روح التساؤل المستمر

- الفلسفة تساهم في تنمية وتطوير القدرات الفكرية وتولّد في العقل الممارسة النقدية، وتنشئته على استمرارية التساؤل والتأمل ومواجهة المواقف، والبحث عن العلاج للمشكلات المطروحة..

- الفلسفة تعلّم الإنسان كيفية تبني المواقف والتبريرات المؤسسة..

- الفلسفة تساعد على ترقية أسلوب النقاش والحوار مع الغير، وتساعد تنمية قدرات الفهم واستنباط الأحكام..

على المستوى الاجتماعي: - الفلسفة وسيلة لفحص الحياة الاجتماعية من خلال تحليلها ونقدها وإبراز مشاكلها وانشغالاتها..

- الفلسفة تساهم في وضع الحلول واقتراح سبل العلاج الناجعة

- الفلسفة وسيلة لليقظة الاجتماعية ونهضة المجتمع وتحضّره..

المحاضرة رقم05 أصول الفلسفة (النشأة والمنبع)

ترتبط الفلسفة من حيث منابع نشأتها وأصولها بأصلين رئيسين:

I- أصول داخل الطبيعة البشرية: يقول فيورباخ "إن كلّ فلسفة تؤسس خارج الإنسان وبمعزل عنه لا يمكن اعتبارها فلسفة" ويقول "هوسرل" "التفلسف يبدأ بالرجوع إلى الذات قصد تحطيم المعارف المسلّم بها والجاهزة"..إننا حينما نتأمل طبيعة التفكير الفلسفي، سواء من حيث منهجه أو أهدافه وغاياته، فلا شك أننا سنجد من دوافع ومنابع هذا التفكير ما يرتبط بكيان الإنسان وطبيعته المحفّزة على التفلسف.. ومن أبرز هذه الأصول الداخلية نذكر:

1- الدّهشة: فالدهشة تعبر عن الشعور بالجهل بحقيقة الظواهر، والمسائل التي تواجه الإنسان، وحينها يندفع وينطلق نحو البحث عن الحقيقة.. ويمكن اعتبار الاندهاش أصل التفلسف والمحفّز عليه، يقول"أرسطو" « التفلسف وليد الدّهشة ». فمن رحم الدهشة ينبثق التساؤل الفلسفي الذي بفضله تنطلق رحلة البحث عن الحقيقة، الكشف عن المجهول المحيّر. إن الدهشة ولما تثيره من التعجب والحيرة دفعت بالناس نحو التأمل في أسرار الكون والوجود، والبحث في أصله واستكشاف جواهره.

والدهشة الفلسفية ليست تعني ذلك التعجب الآني الظرفي، وإنما مدلوله ذلك القلق الأنطولوجي الذي تحدثه ظواهر الكون في الذات، ويترجم في صورة تساؤلات فلسفية تستدعي البحث العميق،. وفي كتابها " الدهشة الفلسفية" للكاتبة "جان هِرش" تشير إلى أن ارتباط الفلسفة بالدهشة قد لازمها منذ نشأتها الأولى بداية من دهشة "طاليس" من الكون والبحث في أصل تشكله، مرورا بفلسفة أفلاطون وأرسطو، ثم فلسفة العصور الوسطى وبحثها في قضايا العلاقة بين الفلسفة والدين، مرورا بفلسفة العصر الحديث مع الفلسفتين: العقلية والتجريبية، وصولا غلى الدراسات النفسية وتساؤلا الطبيب "سيغموند فرويد" عن خبايا النفس البشرية، وصولا إلى نظرية الحرية عند "برغسون"، والمسائل الأخلاقية عند "نيتشه" وفينومينولوجية "هوسرل".. وغيرها من قضايا البحث والمواقف الفلسفية..

2- الشك: فالشك واحد من منطلقات البحث والتأمّل الفلسفي، إنه فعل فحصي نقدي للمعارف، هدفه البناء المعرفي وتوسيع أفق التفكير الهادف.. إن الإنسان صاحب الحس الفلسفي وإن كان يملك رصيدا معرفيا، فإن هذا الرصيد ليسا يقينيا، خصوصا وأن التغيّر والنسبية يلازمان الفكر البشري؛ واقتناع الباحث عن المعرفة بهذا الأمر يجعله دائم الفحص والنقد والسك في معارفه ومعارف الغير، وفي أثناء هذه العملية تظهر الممارسة الفلسفية.. يقول ديكارت عن الشك "الشك خطوة ضرورية لا بد من اتخاذها، فخبرتي بالخطأ وتعرضي له منذ عهد بعيد، واحتمال تجدده بفعل تلك الأحكام التي خضعت لها، ولم أتبيّن صحتها، شواء كانت أحكاما فرضها الغير من معلمين، أو مرشدين، أو من وُكّل إليهم أمري، أم أحكاما فرضها علي الحس أو الخيال؛ إن كلّ هذا يدعوني إلى الشكّ".. ومن خصائص الشك الديكارتي أنه: نتاج الظروف الفكرية

لعصره، وهدفه بلوغ اليقين واكتشاف خطا المعارف الموروثة وبخاصة عن سلطة الكنيسة، وكذلك يهدف إلى هدم المعارف الحسية المخادعة والمتداولة وإعادة بنائها عقليا..

3- القلق: فكثيرا ما كان التفكير الفلسفي وتساؤلاته نابعة من ذلك الخوف والقلق الذي ينتاب الإنسان، حيث من خلاله ينطلق باحثا عن الحلول المقنعة حتى يشعر بالسكينة والطمأنينة، وينتج عن هذا القلق بروز مواقف وآراء فلسفية.. ويمكن أن نشير هنا على سبيل المثال لا الحصر إلى الفلسفة الوجودية، التي حاولت تجديد النظرة إلى الإنسان المعاصر الذي أصبح يكابد القلق، والذي من خلاله ينطلق نحو البحث عن حقيقة وجوده وصناعة ماهيته، بتأمل ذاته واكتشاف حرية وجوده..

لقد أصبح القلق بهذا المعنى موقفا فلسفيا واتجاها فكريا في الحياة أفرز مفاهيم ومواقف متباينة حوله...

4- التواصل: الفلسفة باعتبارها خطابا فكريا يتناول القضايا التي تشغل الإنسان، تهدف إلى إحداث التواصل بين الناس والمجتمعات، يقول عنه "شارل كولي" "التواصل هو الميكانيزم الذي بواسطته توجد العلاقات الإنسانية وتتطوّر"..

إن الرغبة في التواصل الذي هو صفة فطرية في الإنسان، كثيرا ما يكون دافعا لممارسة العملية التفلسفية، فبهذا التواصل يحدث تبادل الآراء والأفكار ويتولّد النقاش والحوار التساؤلي، وحينها تبنى تتأسس المعارف.. وقد أصبح التواصل من المفاهيم والخطابات الأساسية في الفلسفة المعاصرة، بل وأصبح فلسفة قائمة بذاتها – فلسفة التواصل- التي من روادها نجد **"هابرماس".**

II- أصول خارج الطبيعة البشرية (تاريخ الفلسفة): تكاد تجمع أغلب الدراسات على أن مرحلة الفكر اليوناني هي مرحلة بداية نضج وارتقاء الفكر البشري، وانتظامه وعقلانيته، وعند اليونان ظهر التفكير الفلسفي في أرقي صوره، بعد أن أعلن انتقاله من مستوى التفكير الميثوسي (الأسطوري) إلى مستوى التفكير اللوغوسي (العقلاني)..

والحديث عن نشأة الفلسفة والعوامل التي ساهمت في بروزها وتطورها، يحيلنا غلى الحديث عن عوامل نشأتها عبر العصور، فلكل عصر ظروفه التي ساعدت في نشأتها..

1- الفلسفة اليونانية: ساهمت في نشأتها عوامل ومؤثرات مختلفة:

أ- العامل التاريخي: فقد كانت القبائل اليونانية مشتتة ومتصارعة، إلى غاية القرن الثامن ق م، أين التقت في شكل وحدة قومية وبدأت بذلك حضارة جديدة عند اليونان..

ب- العامل الاقتصادي: بداية من القرن السابع ق م، حدث تطوّر اقتصادي هام في بلاد الإغريق، أين ازدهر النشاط الاقتصادي صناعيا وتجاريا، وساهم هذا التطوّر في ظهور طبقات اجتماعية (النبلاء، التجار، الصناعيون،..) ونتج عنه رخاء مالي واجتماعي وسياسي وفكري.. وبرزت المنافسة بين طبقات الأغنياء على الحكم والسلطة.. كما ساعد الانتقال من نظام المقايضة إلى المعاملة النقدية، في الانتقال من التعامل الحسي إلى التعامل والتفكير المجردين..

ج- العامل السياسي: ويتمثل أساسا في انتقال السلطة من حكم النبلاء إلى الديمقراطية، حيث عرف اليونان انفتاحا على الشعوب الأخرى من خلال التجارة والملاحة، وظهرت طبقات اجتماعية جديدة (حرفيون، تجار، صناعيون..) ساهمت في ظهور الديمقراطية، حيث انتشرت حرية التعبير، والحوار، والمشاركة في العمل السياسي.. وكلها أسهمت في التطوّر الفكري والمنافسة الخطابية في الحوار والإقناع..

د- العامل الثقافي: ويتمثل في ازدهار الحرية الثقافية وانتعاش المنتج الثقافي والفكري، فتطوّرت الآداب والفنون والعلوم.. وكلها ساعدت في الانتقال من تفكير الأسطورة إلى تفكير الاستدلال لعقلي..

2- الفلسفة الإسلامية: يمكن الحديث عن عاملين أساسيين هما:

أ- العامل الداخلي: يبرز أساسا في عديد العوامل هي: العامل السياسي المتمثل في مشكلة الخلافة: التي انتقلت من كونها خلافا سياسيا إلى خلاف ديني ثم كلامي، أفرز فرقا دينية متجادلة (الشيعة، الخوارج، المرجئة..) ثم ظهور فرق كلامية متجادلة ومتضاربة المواقف (المعتزلة، الجبرية، الماتريدية...)/ وأما العامل الآخر فهو الآيات المتشابهات: التي تستدعي منهج التأويل لفهم دلالتها ومقاصدها المنشودة../ وأما العامل الآخر فهو ورود نصوص دينية تدعوا إلى إعمال العقل والتدبر..

ب- العامل الخارجي: ويمكن اختصاره في حركة الغزو الثقافي الخارجي (الفرس، والرومان، واليهود، والمسيحية...) وكلّها كانت مسلّحة بالفلسفة.. واستدعى الأمر حينها تعلم المسلمين للفلسفة لاكتساب طرق الرد والدفاع..
ومن مظاهر هذا العامل الخارجي كذلك: حركة الترجمة التي عرفها المسلمون، وبفضلها تعرفوا على تراث اليونان والفرس...

3- الفلسفة الحديثة: ارتبطت في نشأتها وانبعاثها بظروف العصر السائدة.. والتي تتلخص في جملة العومال التالية:

أ- اطلاع الغرب على حضارة الإسلام والعرب، خصوصا الإرث الإسلامي في الأندلس بعد استيلاء الإسبان عليه في القرن الـ15م..

ب- انتشار الحركة العلمية (كوبرنيكوس 1473-1543م.. النظام الشمسي ودوران الأرض والكواكب حول الشمس..) (كبلر 1571-1630م.. وثورته في الرياضيات والفلك وتأكيده على الحركة البيضاوية بدل الدائرية..) (جاليلي 1564-1642م.. العلاقة بين الكتلة والسرعة، وتطوير النظريات العلمية السابقة خصوصا نظرية كوبرنيكوس حول النظام الشمسي).

فمجموع هذه الحركية العلمية أفقدت الثقة في الفلسفات والمعارف الموروثة عن الكنيسة، وهو ما أسهم في تحرر الفكر الأوربي من تراث الماضي..

كما شهدت أوربا تطور الأبحاث في مجال الكيمياء، وتطور الصناعة واختراع المطبعة على يد "جوتنبرغ"، وهو ما كان له تأثير قي سرعة انتشار الكتاب المطبوع، وأصبحت كتب الفلاسفة يسيرة الانتشار في بين الناس والشعوب..

ج- النهضة الفكرية والأدبية والعلمية الشاملة التي واكبت الفتح العثماني للقسطنطينية 1453م، واسترجاع الإسبان للأندلس، وهي عوامل أسهمت في انتقال التراث اليوناني والروماني نحو أوربا الغربية، وكان من نتائجها ظهور حركية نقدية للفلسفة الأرسطية، وظهور المنهج التجريبي الطي غير من كيفية، ومسار الدراسة..

د- حركية الإصلاح الديني التي تزعمها (مارتن لوثر كينج 1483-1546م) ثم (جون كالفن 1509-1564م)، وهو إصلاح هدف بالأساس إلى تصحيح مسار ونهج الكيسة الكاثوليكية، والقصد تنوير العقل وتحرير من الجمود والظلامية.. وقد كان من نتائج هذه الحركية الإصلاحية، بروز وتطوّر النزعة الإنسانية والتحرر الفكري..

4- الفلسفة المعاصرة: ارتبط ظهورها بافرازات، وتركات الفلسفة الحديثة، والحركية العلمية التي اتجهت نحو تقديس العلم، ونظرتها المادية للإنسان، وهو ما أسهم في ظهور فلسفات معاصرة انشغلت بالدراسة النقدية للعلوم في نتائجها ومبادئها ومناهجها (فلسفة العلوم)، وأخرى انشغلت بقيمة الوجود الإنساني، وراحت تبحث عن سبل سعادته وإعادة بنائه باعتباره كيانا متميزا (الشخصانية، الوجودية، الحدسانية..)

المحاضرة رقم05 + 06 علاقة الفلسفة بغيرها من المعارف والعلوم

أولا: علاقة الفلسفة بالدين: (نموذج الديانات السماوية) العودة إلى محاضرة قيمة الفلسفة، التي تضمنت الحديث عن مكانة الفلسفة في الفكرين: المسيحي والإسلامي (التيار المعارض للفلسفة، والتيار المؤيد لها والمدافع عنها)

ثانيا: علاقة الفلسفة بالعلم: الحديث عن الفلسفة والعلم هو في الحقيقة حديث عن حقلين معرفيين، وكذلك عن سبيلين للمعرفة، كيف لا والفلسفة جاءت كتعبير عن مرحلة من مراحل نضج الفكر البشري وارتقائه نحو العقلانية والاستدلال العقلي في البحث عن الحقيقة، وتجاوز مرحلة التفكير الخرافي والأسطوري... والعلم كذلك هو نمط فكري يعبر عن مرحلة أخرى من مراحل تطوّر الفكر البشري، الهادف إلى بلوغ معارف أكثر دقة وواقعية..

إننا نسمع مثلا: هذه تساؤلات فلسفية، وهذه قضايا فلسفية، وهذه مذاهب فلسفية.. وكذلك نسمع: هذه تساؤلات علمية، وهذه قضايا علمية، وهذه قوانين ونظريات علمية.. ومثل هذه المصطلحات تقود إلى إثارة قضية العلاقة بين الفلسفة والعلم.. ما مظاهر التمايز بينهما؟ هل التمايز هو المظهر الوحيد لطبيعة العلاقة بينهما؟.. هل ظهور العلم أنهى مكانة وقيمة الفلسفة؟ وهلا بإمكان العلم الإحاطة بجميع انشغالات الإنسان ويكون بديلا ناجحا عن الفلسفة؟...

إن مثل هذه التساؤلات تستدعي أولا ضبط مفهوم كل من الفلسفة والعلم وكذلك تحديد خصائصهما..

I- مفهوم الفلسفة وخصائصها: (سبق التعريف بالفلسفة وتحديد أهم خصائصها.. أنظر المحاضرة رقم1، والمحضرة رقم2)

II- مفهوم العلم وخصائصه:

أ- تعريف العلم: منظومة من المعارف المتناسقة، التي يُعتمد في تحصيلها على المنهج التجريبي..

- تعريف لالاند: "العلم هو ما يطلق على مجموعة المعارف والأبحاث التي توصّلت غلى درجة كافية من الوحدة والضبط والشمول، بحيث تنتهي إلى نتائج متناسقة وموضوعية، بعيدة عن الذاتية، تؤيّدها مناهج محدّدة للتحقق من صحتها"

- تعريف عبد الحمن بدوي: "الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقائق في العلوم بواسطة مجموعة من القواعد العامة، تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة أسبابها، وما يناسبها من حلول بطريقة غير متحيّزة للمشكلة"

ب- خصائص العلم: ومن أهمّها:

- الموضوعية: دراسة الظاهرة كما هي عليه في الواقع، وليس كما يجب أن تكون عليه، وبمعنى آخر: استبعاد الذاتية وما يرتبط بها من ذوق ورغبات وارتجالية وأحكام مسبقة.. يقول **غاستون باشلار** "إن العلم.. يتعارض إطلاقا مع الرأي.."

- النسبية والتغيّر: فالقوانين والحقائق العلمية تعبّر عن حالة ومرحلة اكتشاف ترتبط بظروف زمكانية، وكذلك نوعية وطبيعة الوسائل المعتمدة؛ ولما كانت هذه الوسائل قابلة للتطوّر، فكذلك نتائج العلم قابلة للتغير، وحتى الإلغاء.. وعليه فليس اليقين العلمي إلا يقينا مؤقتا.. يقول **كلود برنار** "يجب أن نكون مقتنعين بأننا لا نملك العلاقات الضرورية بين الأشياء، إلا بوجه تقريبي كثيرا أو قليلا.." ويقول **غاستون باشلار** عن العلم بأنه "معرفة تقريبية".

- الانسجام والتناسق: العلم بناء منظّم، يعبّر عن ترابط العناصر في نظام كلّي واحد، مبين على علاقات تعميمية منسجمة..

- الدقّة والتجريد: العلم معرفة دقيقة، لغتها الكم والقياسات الرياضية، وقد انتقل في تطوّره من الوصف اللفظي إلى الوصف الرمزي، حيث أصبح يستخدم رمزا للدلالة على الظواهر الحسية (Hالهيدروجين..)

- التعميم: تسعى العلوم في دراستها إلى تقديم تفسيرات شاملة وعامة للظواهر، فرغم أنها تتصف بالتخصّص إلا أنّها لا تعزل الظواهر المتشابهة عن بعضها البعض، بل تربط بينها بهدف استخلاص تفسيرات شاملة وعامة.. يقول هيزنبرغ 1891-1953 "التعميم هو قوام التفسير ذاته"

****وبالعودة إلى جملة خصائص كل من العلم والفلسفة، وباستقراء مسار تطورهما، يمكن لنا إجمالا الحديث عن ثلاثة مظاهر كبرى للعلاقة بينهما..**

1- الاختلاف والتمايز:

أ- من حيث الموضوع: العلم إمبريقي، مجاله الظواهر الكونية المحسوسة، سواء أكانت محسوسة مباشرة (سقوط الأجسام، تحولات المادة، التغيرات الفلكية، التغيرات الفيزيولوجية...)، أو كانت حسية غير مباشرة تدرك بالأجهزة (الموجات الصوتية، الرياح..).. أما الفلسفة فمجالها أوسع، إنها تتجاوز المحسوس إلى الانشغال بقضايا التجريد، وقضايا الحياة المعنوية.. (العدالة، السعادة، الحرية، الأخلاق...)

ب- من حيث المنهج: العلم منهجه تجريبي (الملاحظة، الفرضية، التجريب).. أما الفلسفة فمنهجها التأمل العقلي المدعم بالتساؤل النقدي والشكي..

ج- من حيث طبيعة الدراسة: العلم دراسته موضوعية.. متخصصة/ أما الفلسفة فهي دراسة ذاتية تعبر عن توجه الفيلسوف.. كما أنها تتصف بالشمولية والنظرة الكلية...

د- من حيث طبيعة الإجابة: إجابات العلم دقيقة في صورة قوانين رمزية يحصل حولها الاتفاق... كما أن الأحكام التي يصدرها تكون تقريرية وجودية تصف الحادثة الواقعية الموجودة../ أما الفلسفة فأجوبتها تعبّر عن آراء أصحابها، فهي قناعات ذاتية ومذهبية، وأحكامها بذلك معيارية وجوبية تعبر عما ينبغي أن يكون عليه الأمر..

هـ- من حيث الأهداف: العلم يهدف إلى معرفة أقرب العلل المتمثلة في معرفة خواص الظواهر، القابلة للصياغة القانونية، والتحقق المخبري.. أما الفلسفة فتهدف إلى معرفة العلل البعيدة التي هي الأصل الأول للموجودات.. وهذا ما يتجلى في كونها تهتم أكثر بالتساؤل وليس بناء الجوبة.. وقد عرّفها أفلاطون بقوله "هي البحث عن العلل والمبادئ الأولى..."

2- الاتفاق: رغم مظاهر التمايز بين العلم والفلسفة، إلا انه يمكن رصد العديد من مواطن الاتفاق والتلاقي بينهما، ومنها:

- العلم والفلسفة نمطان وحقلان معرفيان، يعبران عن حاجة وتطلّعات الفكر البشري الراغب في الحقيقة، فقد كان ظهورهما وليد الحاجة إلى إدراك حقيقة ما يحدث من وقائع، والرغبة في إزالة الغموض وتجاوز الجهل والحيرة.. (ظهور الفلسفة بسبب عجز التفكير الأسطوري... وكطلك ظهور العلوم بسبب الرغبة في بلوغ الحقائق المقنعة والواقية الملموسة التي عجزت عن تحقيقيها الفلسفة..)..

- العلم والفلسفة مؤسسان على منظومة فكرية منطقية متناسقة ومنسجمة (الاشتراك في خاصية الاتساق والانسجام)

- العلم والفلسفة يشتركان في صفة الإثارة الفكرية، فتساؤلاتهما تخلقان في العقل الحيرة وتدفعان به إلى البحث عن الحقيقة..

- العلم والفلسفة يشتركان في خاصية التجريد، رغم اختلاف طبيعته ودرجته، فالعلم يتدرج بالانتقال من المحسوس نحو صياغة الأحكام والقوانين العامة المجردة التي تصدق على الظواهر المشابهة لتلك الظواهر المدروسة.. وكذلك يظهر التجريد في الفلسفة، حيث أنها تتجاوز المحسوس إلى المعقولات الكلية المجرّدة، بعيدا عن التخصيص التشخيصي (مفهوم الإنسان، صفات عامة مشتركة دون تخصيص/ حرية الإنسان بصفة عامة مجردة دون تعيين نوع الإنسان..)..

3- التداخل والتكامل:

- الوجود نوعان: مادي واقعي ينشغل به العلم التجريبي، ووجود معنوي ومجرد تنشغل به الفلسفة، ففهم الوجود بحاجة إلى تكامل وتعاون الفلسفة مع العلم..

- لقد أثمر العلم عن نتائج ملموسة، وأسعد الإنسان ماديا باكتشافاته للقوانين الكونية، وانجازاته التقنية، لكنه في المقابل أهمل قضايا الحياة الروحية، والقيم الإنسانية، (الحرية، السعادة، العدالة..) التي يصعب عليه علاجها، وهذا ما أصبحت الفلسفة تنشغل به وتبحث عن حلول لها، حتى تكتمل قيمة الوجود الإنساني..

- إن العلم يبدع وينتج ويصنع، والفلسفة تتوجه بالدراسة النقدية والتوجيهية والتقييمية، حتى تكون للعلم قيمة إيجابية، ففي ظل التطور العلمي طرحت مسائل: العولمة، وحقوق الإنسان، والاستنساخ، ومصير الإنسان بعد صنع الآلة والسلاح.. وكلّها مسائل أصبحت من اهتمامات وموضوعات الفلسفة... يقول **وايتهد** مترجما هذه العلاقة التكاملية "هناك مشروعية للفلسفة والعلم معا، وفي وسع كل منهما أن يُعين الآخر"

- العلوم نشأت وانبثقت من أحضان الفلسفة (الفلسفة أم العلوم)، وظهور العلوم في حقيقة إنما هو تعبير عن رغبة الإنسان في التخصص المعرفي والدقة في البحث والنتائج.. وقد أشار مؤرخو العلم إلى أن مختلف التحولات والتطورات التي حدثت في العلوم قد اقترنت بالأسس والتأملالت الفلسفية ، فالانتقال من النظام البطليموسي إلى النظام الكوبرنيكي في الفلك، وكذلك ظهور الهندسات اللاإقليدية كثورة على الهندسة الاقليدية، والانتقال من الفيزياء الميكانيكية النيوتينية إلى الفيزياء النسبية وقوانين اللاحتمية، كل ذلك كان أساسه التأمل الفكري والتساؤلات النقدية، قبل تتحول إلى نظريات علمية.

***** نماذج من العلاقة التكاملية بين الفلسفة والعلم**

- علاقة الفلسفة بالفيزياء: صرّح **ألبيرت إنشتاين** وهو يتحدث عن نظريته في النسبية، أن الأثر الكبر في توصّله لنظريته الفيزيائية في النسبية، لم يكن من قبل بعض الفيزيائيين أمثال: **بوانكاريه، وأرنيست ماخ**، بقدر ما كان قبل الفيلسوف **دفييد هيوم**.. ويقول الفيزيائي **هيزنبرغ** في كتابه "المبادئ الفيزيائية لنظرية الكم" «وفي حالة نظرية النسبية، ثبت ميزة العودة إلى المناقشات الفلسفية.. وكثير من التجريدات المميزة للفيزياء النظرية الحديثة نوقشت في فلسفات القرون الماضية..»

- علاقة الفلسفة ببعض العلوم الإنسانية: خرجت هذه العلوم من عباءة الفلسفة مثل العلوم الأخرى.. فعلم الاجتماع مثلا يدرس علاقة الذات بالغير وهي في جوهرها تحمل أبعادا فلسفية، فالفلسفة تهتم بالإنسان كذات، أو كجماعة، ثم إن الفلسفة المعاصرة أصبحت تهتم بقيمة التواصل... كما لا يخفى علينا أن رواد علم الاجتماع هم في حقيقتهم وطبعتهم الفكرية فلاسفة (دوركايم، أوجست كونت، هالفاكس..)

- وفي علاقة الفلسفة بعلم النفس يقول **"كارل يونج"** «بين علم النفس والفلسفة روابط لا انفكاك منها.. لهذا لا يمكن لأحدهما الاستغناء عن الآخر، لأن كلا منهما يمد الآخر بمسلّماته الأولية الضمنية، التي غالبا ما تكون خفية»

من بين فروع علم النفس: علم النفس الفلسفي، ويصطلح عليه البعض: ما وراء علم النفس أو الميتابسيكولوجيا..وهو يبحث في جمل الافتراضات الكلية المجرّدة التي تسبق البحث العلمي...

- علاقة الفلسفة بالاقتصاد: النظريات الاقتصادية وحتى الأنظمة الاقتصادية الحديثة (الرأسمالية والاشتراكية) نظّر لها الفلاسفة (آدم سميث، ج س مل، كارل ماركس، فريدريك انجلز..)

- علاقة الفلسفة بالقانون: التشريعات القانونية قائمة على أسس وتنظيرات فلسفية، فمسائل حقوق الإنسان مثلا نظّر لها فلاسفة الأنوار (مونتيسكيو، فولتير، ج ج روسو.)

المحاضرة رقم07: مباحث الفلسفة

بالعودة إلى تعريفات الفلسفة، وجملة خصائصها، يتضح أنها نموذج فكري ثري وخصب منذ بذور نشأتها الأولى، وطوال مسار تطوّرها، ويمكن أن نلمس هذه الحقيقة في جملة مباحثها الكبرى..

أولا : مبحث المعرفة (الابستومولوجيا)

** **تعريفها: لغة:** الابستيمولوجيا كلمة تتألف من: ابيستيمي Epistémè وتعني العلم، أو المعرفة.. ولوغوس Logos وتعني النظرية أو الدراسة

- اصطلاحا: الدراسة التي تهتم وتهتم بمبادئ العلوم و فرضياتها ونتائجها دراسة نقدية بغرض إبراز قيمتها الموضوعية. يفرق لالاند بين الابستمولوجيا ونظرية المعرفة على أساس أن الثانية تدرس المعرفة بالتفصيل بشكل بعدي في حين الابستمولوجيا تدرسها على صعيد وحدة الفكر للكشف عن أصلها المنطقي واهم مسائلها هي: إمكانية المعرفة / مصدر المعرفة ؟ طبيعة المعرفة

I - إمكانية المعرفة: هل توجد معرفة حقيقية؟ هل الحقيقة ممكنة التحقق؟ هل هي مطلقة أم نسبية؟..

1- النزعة الوثوقية / الدغماتية: تطلق على مختلف المذاهب المؤمنة بالحقيقة اليقينية، وبمعنى آخر هي نزعة توكيدية مؤمنة باعتقاداتها بعيدا عن روح قبول النقاش، أو التسليم باحتمالية الخطأ

- نلمس مثل هذه النزعة في المذهبين العقلي والتجريبي، فلكل منها اعتقاده الراسخ بمصدر المعرفة، وله مسلّماته الاعتقادية..

- نلمس هذه النزعة كذلك في الفلسفات الدينية (الإسلامية والمسيحية) والمتمثلة تخصيص في التوجهات الدينية الاعتقادية المؤمنة بالحقائق الإلهية الواردة في النص الديني، واجتهدت في التوفيق بين هذه الحقائق الإيمانية، وحقائق العقل..

2- النزعة الشكية / الريبية

وتعني الشك في قدرة العقل الإنساني على فهم وبلوغ الحقيقة.. وتمتد جذورها إلى الفلسفة اليونانية، خصوصا مع سقراط الذي اتخذ من الشك واحدا من سبل التحصيل المعرفي.. وكذلك مع بارمنيدس الذي شك في المعارف الحسية، وكذلك شك هيرقليطس في المعارف العقلية قائلا بفكرة التغير وعدم الثبات..

والشك في عمومه نوعان: إيجابي بناء: هدفه بناء المعرفة وبلوغ الحقيقة، وهو ما يعرف عند ديكارت بالشك المنهجي.. وهناك الشك السلبي الهدام: وهو الشك من أجل الشكّ، أو ما يعرف بـ "اللاأدرية".. الناكرة لليقين والمعرفة.. كما حال الشك عند "بيرون" الذي قال بضرورة تعليق الأحكام لأنه من الصعب معرفة حقيقة وطبيعة الأشياء..

II - مصادر المعرفة: ويتمحور هذا العنصر حول آليات ومعايير تحصيل المعرفة، وهي مصادر متنوعة أهمها:

أ- العقل: (الاتجاه العقلي): وهو الاتجاه الذي يقدس العقل ويؤمن بقدرته على بلوغ الحقيقة وتحصيل مختلف صنوف المعرفة.. وتمتد جذوره إلى الفلسفة اليونانية بداية من سقراط، واكتمل تأسيسه مع ديكارت..

ب- التجربة: (الاتجاه التجريبي): وهو الاتجاه الذي يؤمن بقيمة التجربة الحسية في تحصيل المعارف الحقيقية، وقصور العقل عن امتلاكها بعيدا عن معطيات العالم الحسي.. وتمتد جذوره كذلك إلى الفلسفة اليونانية، خصوصا مع السفسطائية، واكتمل تأسيسه مع فرانسيس بيكون، دفيد هيوم، جون لوك...

ج- النجاح العملي النفعي: (الاتجاه البراغماتي): يؤمن بالنجاح العملي كمعيار لتحديد مدى صدقية المعرفة أو الفكرة.. وهو اتجاه ثوري على الفلسفات التقليدية، يرفض الأفكار المجرّدة والميتافيزيقية.. يقول وليم جيمس "آية الحق النجاح، وآية الباطل الإخفاق"

III- طبيعة المعرفة

أ- الفلسفة المثالية: اتجاه يرجع كل الموجود إلى الفكر، وهو اتجاه يقول "أن الأشياء الواقعية ليست شيئا آخر غير أفكارنا نحن، وأنه ليست هناك حقيقة إلا ذواتنا المفكرة، أما وجود الأشياء فقائم في أن تكون مدركة عن طريق هذه الذوات، ولا حقيقة لها وراء ذلك" يبرز هذا الاتجاه بداية من أفلاطون الذي قال بأن طبيعة المعرفة مثالية، وأن معارف الإنسان الحقيقية توجد في عالم آخر كانت النفس تعيش فيه، وهو عالم المثل..

** المثالية نوعان: مثالية ذاتية: ترجع الوجود إلى الفكر الفردي// ومثالية عامة: ترجع الوجود إلى الفكر بشكل عام

ب- الفلسفة الواقعية: فلسفة تقصد إلى الحد من تأثير الذات واتجاهاتها الشخصية في الحكم على عالم الأشياء، فالذات عجزة وقاصرة عن إيجاد الأشياء.. وهي كذلك اتجاه يؤمن بأن الأشياء الخارجية لها وجود عيني مستقل عن الفكر.. برز هذا الاتجاه في الفلسفة اليونانية خصوصا مع أرسطو الذي قال بأن العقل يحتوي على مبادئ تساعد في بناء المعرفة، وليس يحوي كل المعارف.

** الواقعية نوعان: واقعية ساذجة: أو واقية إنسان الشارع، وتتعلق بذلك الانغماس في الحياة المعيشية الضيقة، ونسخ مدركاته منها بطريقة آلية// وهناك الواقعية الفلسفية: مثل الواقعية البراجماتية، والواقعية المنطقية...

ثانيا: مبحث الوجود (الأنطولوجيا)

1- تعريفه: هو المبحث الذي يدرس الوجود الكوني عامة، ويهدف إلى الكشف عن قوانينه الكلية المفسّرة له، فهو يتناول بالدراسة: قوانين الحركة والمادة: هل هي منتظمة أم عشوائية؟، علاقتها بالله، أصلها الذي تكوّنت منه.. ما الوجود؟ ما طبيعته؟ هل هو مادي أم روحي؟ ما مصيره؟ هل الوجود الحقيقي هو ما يحصل في الذهن (حصول تصوّري يدرك بالاستدلال العقلي) أم هو ما يتمثل في الواقع (حصول واقعي يدرك حسيا)؟...

2- مذاهب فلسفة الوجود

أ- المذهب الواحدي: هو المذهب القائل بمبدأ واحد أو بجوهر واحد الوجود، فهو يرجع جميع الأشياء غلى أصل واحد، أو مبدأ واحد انبثقت منه جميع الأشياء على كثرتها وتعدّدها.. وهو أنواع:

- الواحدية المادية: يرجع الوجود إلى أصل مادي واحد،وقد ظهر عند الفلاسفة الطبيعيين الأوائل، الذين بحثوا في أصل الوجود وأرجعوه إلى عنصر طبيعي واحد ابثقت عنه سائر الموجودات (الماء، النار، التراب، الهواء)

- الواحدية الروحية: وهي التي تفسر الوجود بإرجاعه إلى الروح، فهي تعتقد أن طبيعة الأشياء الموجودة وراء الظواهر المحسوسة روحيةح فالروح هي مصدر كل الظواهر المادية الوجودية، ومن القائلين بهذه الواحدية الروحية نجد: باروخ سبينوزا وفريدريك هيجل، الذي يعتقد أن العالم كله هو تجسد للروح التي تمكُر بالإنسان، الذي هو مجرد منفّذ لتخطيط مسبق لم يتدخّل في وضعه.

- الواحدية المحادية: أرادت تجاوز الطرحين السابقين، قائلة بأن الوجود لا هو مادي ولا هو روحي، وإنما هو جوهر محايد هو "الله"، وليست المادة والروح إلا مجرّد صفات له..

ب- المذهب الثنائي: وهو المذهب الذي يفسر الوجود بإرجاعه إلى عنصرين متضادين: العقل والمادة.. الجسم والنفس .. الذات والموضوع.. الخيال والحقيقة..النور والظلام.. وقد انتشر هذا المذهب في الثقافات الشرقية خصوصا: الصين والهند وكذلك في الثقافة الفارسية...

ج- مذهب الكثرة والتعدّد: يعتقد أن الكون مليء بالكثرة والتعدّد، وليس ممكنا حصر مبدئه في أصل أو مبعث واحد.. ترتبط الجذوة الأولى لهذا المذهب بالفيلسوف الطبيعي **أمبذوقليس** االذي أرجع أصل الوجود إلى العناصر الأربعة: (الماء، النار، التراب، الهواء)..

- في الفلسفة المعاصرة نلمس هذا المذهب عند وليم جيمس: الذي شبه العالم المتكثر بالجمهورية الفدرالية، فلما كانت الوقائع الحسية متعددة فإن بدايتها هي الكثرة والتعدد كذلك؛ إن العالم حقائق جزئية وليست هناك حقائق مطلقة..

ثالثا: مبحث القيم (الأكسيولوجيا)

1- تعريفه: لغة: أكسيو AXIO القيمة.. لوجي LOGIE علم أو مبحث..

- اصطلاحا: يعني في إطاره العام: البحث في طبيعة القيم وأنواعها ومعاييرها.. من المسائل التي يبحثها: ما طبيعة القيم: هل هي ذاتية أم موضوعية؟ هل هي مطلقة أم نسبية؟ ما مصدرها ومعيارها؟..

2- مباحث فلسفة القيم: ينشغل ببحث ثلاث قيم هي:

أ- قيمة الحق (علم المنطق): موضوعه الحق والباطل.. فعلم المنطق هو ذلك العلم الذي يبحث في قوانين التفكير الصحيح والعاصمة للذهن من الوقوع في الخطأ والزلل..، أو هو البحث في طرق التفكير السليم، أو ما ينبغي أن يكون عليه الفكر..

- من مسائله: متى يكون التفكير سليما؟ ما معيار الحقيقة؟ هل الحقيقية مطلقة أم نسبية؟

ب- قيمة الخير (علم الأخلاق): موضوعه الخير والشر.. فعلم الأخلاق هو العلم الذي يبحث في السلوك الإنساني وتوجيهه وفق قاعدتي الخير والشر، وتحديد معايير التمييز بينهما.. إنه البحث فيما ينبغي أن يكون عليه السلوك البشري..

- من مسائله: ما مصدر القيمة الخلقية وما معيار التمييز بين الخير والشر؟ هل القيمة الخلقية مطلقة أم نسبية؟ هل القيمة الخلقية ذاتية أم موضوعة؟

ج- قيمة الجمال (علم الجمال): موضوعه الجمال والقبح.. فعلم الجمال هو الذي يبحث في شروط ومعايير وطبيعة الجمال أو الذوق الجمالي والفني.

- من مسائله: هل التقييم الجمالي والفني ذاتي أم موضوعي؟ هل الحكم الجمالي مطلق أم نسبي؟..